قراءة عبدالله بن أبي اسحاق في الميزان

د. محمود حسني محمود
الجامعة الأردنية

Abstract

This paper deals with the reading of Ibn Abi Ishaq. One of the early grammarians who made a break-through in the study of grammar, paving the way for their followers on whom they left their great impact. This study was prompted by the need to illustrate and calrify that influence. The paper demonstrates that Ibn Abi Ishaq derived his reading from different sources most important of which were the morphological, syntactic and semantic aspects as well as the tribes' dialects. It has also shown that this reading had various characteristics such as its distinction from the Qur'anic calligraphy, the plurality of reading the same ulterance and the propensity to the accusative case. Besides this, it has revealed that Ibn Abi Ishaq's reading had provoked linguists in general and grammarians in particular into embarking on further research and led them to engage in lengthy discussions, which left a great effect on lingustic studies.

ملخـــص

يتناولُ هذا البحثُ قراءةَ أحدِ النحاةِ الأوائل الذين شقوا طريقَ النحو ومهدوه لمن جاء بعدهم من النحاةِ، وكان لقراءتِهم أثرٌ في هذا التشكيلِ ، فكان البحثُ ضرورياً لبيانِ هذا الأثر وجلائِه، وقد تمكن البحثُ من بيانِ أن ابنَ ابي اسحاقَ كان قد اختار قراءتَه بتوجيهِ عواملَ مختلفةٍ أهمُها الدلالةُ النحويةُ والدلالة المعنويةُ ولغاتُ القبائلِ . وتمكن من بيانِ أن هذه القراءةَ كانت ذاتَ مَلامحَ عديدةٍ أبرزُها مخالفةُ الرسمِ القرآني، وتعدّدُ قراءاتِ اللفظِ الواحدِ، والفزعُ إلى النصب، وتمكنَ هذا البحثُ أيضاً من بيانِ أنَّ هذهِ القراءةُ كانت مركزَ اهتمامٍ عند علماءِ اللغة وبخاصةٍ علماءِ النحو فأثارت روحَ البحثِ والدرسِ فيهم، فوقفوا عندها وناقشوها سلباً أم إيجاباً، فكان لذلك أثرٌ بينٌ في الدراساتِ اللغويةِ.

عبدُالله بنُ أبي اسحاقَ النحويُ القارئُ واحدٌ من اللغويينَ الروادِ الأوائلِ ، الذين أخذوا على عاتِقِهم الحفاظَ على اللغةِ، وتقويمَ الألسنةِ، والذين شقوا الطريقَ بجدٍ وجَلَدٍ وأناةٍ فمهدوها وهيأوُها لأن تلمعَ أسماءُ مَنْ بعدهم نجوماً عاليةً دونَ أن يكونَ لأسمائِهم بريقٌ أو لمعانٌ آسرٍ .

وهو يأتي في الطبقةِ الرابعةِ من طبقاتِ النحاةِ واللغويين وذلكَ بعدَ طبقةِ أبي الأسودِ الدُؤلي وطبقةِ عنبسةَ وطبقةِ ميمونِ الأقرنِ الذي أخذ ابنُ أبي اسحاقَ النحوَ عنهُ[1] . وقد أخذ

(١) انظر : أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٢هـ) ـ الفاضل في اللغة والأدب ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني ـ سنة ١٩٥٥م ـ ص٥.

النحوَ عن ابن أبي اسحاقَ عيسى بن عُمَرَ الذي أخذه عنه الخليلُ بنُ أحمدَ الذي أخذه عنه سيبويهِ الذي أخذه عنه سعيدُ بنُ مسعدةَ الأخفشُ الأوسطُ[٢].

وقد اختلفت الرواياتُ في سنةِ وفاتِه فقيل : سنة ١٢٧هـ[٣]، وقيل : سنةَ ١٢٩هـ[٤]، لكن أرجَحَها تلك التي ذكرت سنةَ ١١٧هـ وهو ابنُ ثمانٍ وثمانينَ سنة، ذلك أنّ حفيده يعقوب الحضرمي كان يقول : «مات جدي عبدالله سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه بلال بن أبي بردة»[٥].

وقد قرأ النحو على يحيى بن يعمر أيضاً، وقرأ هو وأبو عمرو بن العلاء على عاصم فكان هو وأبو عمرو رفيقين[٦]، إلّا أن أبا عمرو «بقي بعده بقاء طويلاً»[٧] ومع ذلك فقد كان يقال في ابن أبي اسحاق أنه «أعلم أهل البصرة»[٨] و «كان رئيس الناس وأوحدهم»[٩].

ويبدو أن أبا عمرو كان يُقرَنُ به وكانت الناسُ تقارِنُ بينهما فقيل كان أبو عمرو أشدَّ تسليماً للعرب وابنُ أبي اسحاق وعيسى بن عُمرَ يطعنان عليهم[١٠]. وكان أبو عمرو أوسعَ

---

(٢) انظر : ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأخيرة ـ جـ ١٦/١٤٦.

(٣) انظر : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ ـ ١٥٠٥م) ـ بغية الوعاة ـ ٢م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٩ جـ٢/٤٢.

(٤) انظر : شمس الدين بن الجزري (ت٨٣٣هـ ـ ١٤٢٩م) ـ غاية النهاية في طبقات القراء ـ نشر برجستراسر ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠م ـ ج١/٤١٠.
وانظر : ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ ـ ١٤٤٨م) ـ تهذيب التهذيب ـ حيدر آباد ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٣٢٦هـ ـ جـ٥٣/١٤٨.

(٥) انظر : كمال الدين بن الأنباري (ت٥٧٧هـ ـ ١١٨١م) ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ ١م ـ تحقيق د. إبراهيم السامرائي ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٥م ـ ص٢٨.
وانظر : أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ ـ ١٢٢٦م) ـ أنباء الرواة ـ ٤م ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ـ ج٢ ص١٠٧.
وانظر : ابن الجزري ـ غاية النهاية ـ جـ١ ص٤١٠.

(٦) انظر : ابن الأنباري : نزهة الألباء ـ ص٢٨.

(٧) انظر : محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) ـ طبقات فحول الشعراء ـ ٢م ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ ـ جـ١ ص١٤.

(٨) انظر : أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) ـ مراتب النحويين ـ ١م ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ سنة ١٩٥٤م ـ ص١٢.

(٩) انظر المصدر نفسه ص١٢.

(١٠) انظر : أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي (ت٣٦٨هـ) ـ أخبار النحويين البصريين ـ ١م ـ تهذيب فريش كرنكو ـ الطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ ١٩٣٦م ـ ص٢٥.

عِلماً بكلامِ العربِ ولغاتِها وغريبِها[١١].

وكان ابنُ أبي اسحاقَ أشدَّ تجريداً للقياس[١٢]، وقد شُغِلَ الناسُ بالمقارنةِ بينهما فجَمَعَ بلالُ بنُ أبي بردةَ بينهما[١٣] ـ وكان على البصرةِ والياً ـ ليتناظرا فغلبَ ابنُ أبي اسحاق. قال أبوعمرو : «ما ناظرني أحدٌ قطُ إلّا غلبتُه وقطعتِه إلّا ابنُ أبي اسحاق فإنه ناظرني في مجلسِ بلالِ بنِ أبي بردةَ في الهمزِ فقطَعَني، فجعلتُ قِبالي على الهمزِ ما كنتُ دونه»[١٤].

ويبدو أنّ ابنَ أبي اسحاقَ كان أولَ من فَتَحَ بابَ النحوِ واسعاً بعد أن كان ينحصِرُ ويُحَدَّ في حدودٍ ضيقة، قال عنه ابنُ سلّام الجُمحي : «وكانَ أولَ من بَعَجَ النحوَ ومدَّ القياسَ والعِللَ»[١٥] وكان يبالغُ في الاعتمادِ على القياس، قال ابنُ سلام : «قلت ليونسَ : هل سمعتَ مِنَ ابنِ أبي اسحاق شيئاً ؟ قال : «قلتُ له : هل يقولُ أحدُ الصويقَ ؟ يعني : السويقَ. قال : نعم، عمروُ بنُ تُميمٍ تقولُها : وما تُريدُ إلى هذا ؟ عليك ببابٍ من النحوِ يطّرد وينقاسُ»[١٦].

ويبدو أن يونُسَ كان معجباً بعلمِ ابن أبي اسحاقَ إلّا أنه يعترفُ بأن النحوَ اتسع بعده وتزايدَ حتى صارَ علمهُ ضئيلاً بالنسبةِ إلى ما صار إليه في ما بعد، قال ابنُ سلام : «وسمعت أبي يسأل يونسَ عن ابنِ أبي اسحاق وعلمِه، قال : هو والنحوُ سواء، أي هو الغايةُ، قال : فأينَ عَلمهُ من عِلمِ الناسِ اليوم : قال : لو كان في الناس اليومَ من لا يعلمُ إلّا علمَه يومَئذٍ

---

(١١) انظر : السيرافي ـ أخبار النحويين البصريين ـ ص٢٥.
وانظر : ابن الأنباري ـ نزهة الألباء ـ ص٢٦.
وانظر : جلال الدين السيوطي ـ (ت٩١١هـ) ـ بغية الدعاة ـ ٢م ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٩م ـ جـ٢ ص٤٢.

(١٢) انظر : الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء ١/١٤.
وانظر : السيرافي ـ أخبار النحويين البصريين ص٢٥.

(١٣) انظر : السيرافي ـ أخبار النحويين والبصريين ص٢٦.
وانظر : ابن الأنباري ـ نزهة الألباء ص٢٦.

(١٤) أبوالقاسم الزجاجي ـ (ت٣٤٠هـ) ـ مجالس العلماء ـ ١م ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ الكويت ـ ١٩٦٢م ـ ص٢٤٣.

(١٥) الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء ـ جـ١ ص١٤.

(١٦) المصدر نفسه جـ١ ص١٥.
وانظر : أبوالحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ) ـ أنباء الرواة ـ ٤م ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٠م ـ جـ٢ ص١١٧.
السويق : طعام يتخذ من الشعير والحنطة.

لضُحِكَ به، ولو كان فيهم من له ذهنهُ ونقاؤهُ ونَظَرَ نَظَرَهم كان أعلمَ الناسِ»[١٧].

وكان ابنُ أبي اسحاقَ يحاولُ أن يفرض النحوَ على الناسِ حتى يُطبقوه في كلامِهم وكتابتِهم ولما كان النحوُ في بدايته كان لا بد أن يلاقي النحاةُ عنتاً ومقاومةً وبخاصةٍ من أمثالِ الفرزدقِ فكان ابنُ أبي اسحاقَ يتعقّبُهُ «ويُكثرُ الردَّ عليه والتعنُّتَ له»[١٨] فلما قال الفرزدقُ في قصيدةٍ يمدحُ فيها يزيدَ بنَ عبدِالملك[١٩] :

مستقبلين شمالَ الشامِ تضربنا ... بحاصبٍ كنديفِ القُطنِ منثورِ
على عمائِمِنا يُلقى وأرحُلِنا ... على زواحفَ تُزجى مخُها رِيرِ

ألحَّ عليه ابنُ أبي اسحاقَ وعابَهُ على خَفْضِ «ريرِ» في البيت الثاني وقال له : «أسأتَ إنما هي «ريرُ» وكذلك قياسُ النحوِ في هذا الموضع»[٢٠]. فغيّرهُ الفرزدَقُ وقال :

على زواحفَ نُزجيها محاسيرِ[٢١]

فترك الناسُ هذا، ورجعوا إلى الأولِ[٢٢].

أما يونسُ فقد سوغَ قولَ الفرزدقِ وقال : والذي قال حسنٌ جائزٌ[٢٣]، وتفسيرُ ذلك : على زواحفَ ريرٍ مخُها تُزجي[٢٤].

---

(١٧) ابن سلام الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء ـ جـ١ ص١٥.
وانظر : السيرافي ـ أخبار النحويين البصريين ص٢٦.
وانظر : السيوطي ـ بغية الوعاة ـ جـ٢ ص٤٢.

(١٨) السيرافي ـ أخبار النحويين البصريين ص٢٦.

(١٩) المصدر نفسه ص٢٧.
والجمحي : طبقات فحول الشعراء جـ١ ص١٧.
الشمال : الريح الباردة. الحاصب : ما تناثر من دقائق البرد والثلج.
والزواحف : الابل التي أضناها السفر. أزجى الدابة : ساقها سوقاً رفيقاً.
عظمها ورق جلدها وذاب مخ عظمها (من حاشية طبقات فحول الشعراء).

(٢٠) الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء جـ١ ص١٧.

(٢١) الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء جـ١ ص١٧.
السيرافي ـ أخبار النحويين البصريين ص٢٧.

(٢٢) الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء جـ١ ص١٧.
وأبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي ـ (ت٣٧٩هـ) ـ طبقات النحويين واللغويين ـ ١م ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٥٤م ـ ص١٦.

(٢٣) الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء جـ١ ص١٧.

(٢٤) المصدر نفسه (الحاشية) جـ١ ص١٧.

وقد ثار الفرزدقُ على ابنِ أبي اسحاقَ لموقفهِ هذا فقال له : «والله لأهجونَّك ببيتٍ يكونُ شاهداً على ألسنةِ النحويين أبداً[٢٥]» وهو :

فلو كان عبدُالله مولى هجوته ولكنَّ عبدَ الله مولى موالياً[٢٦]

فخطأهُ ابنُ أبي اسحاقَ في هذا، وقال له : لحنْتَ، ينبغي أن تقولَ : مولى موال. أما يونسُ فقد جوزَ النصبَ كما ورد في البيت، وقبِل بالنصبِ الخليلُ وسيبويه بناءً على أجراءِ موالي على الأصل للضرورة الشعرية قال سيبويهِ : «ويقولُ يونسُ للمرأة تسمى بقاضٍ : مررت بقاضي قبل، ومررت بأعيمي منه، فقال الخليل : لو قالوا هذا لكانوا خلقاء أن يلزموها الجرَ والرفعَ كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجرَوهُ على الأصل . . . . فقال الفرزدق :

فلو كان عبدالله . . .

فلما اضطروا إلى ذلك في موضعٍ لا بد لهم فيه من الحركةِ أخرجوهُ على الأصل»[٢٧].

وقد فتحَ ابنُ أبي اسحاقَ بابَ التخطئةِ هذا لتلميذهِ عيسى بنِ عُمَرَ الذي خطّأ النابغة فكان يقول : «أساء النابغةُ في قولِهِ حيثُ يقول :

فبتُ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرقشِ في أنيابِها السمُ ناقعُ

. . . يقول : موضعها : ناقعاً»[٢٨]. أما سيبويهِ فقد سوّغَ الرفعَ والنصبَ قال : هذا بابُ ما ينتصبُ فيه الخبرُ، لأنه خبرٌ لمعروفٍ يرتفعُ على الابتداءِ قدمتَه أو أخرتَه وذلك قولُكَ : فيها عبدُالله قائماً، وعبدُالله فيها قائماً، . . . وإن شئتَ الغيتَ «فيها» وقلت : فيها عبدُالله قائم قال النابغة :

فبتُ كأني ساورتْني ضئيلةٌ من الرقشِ في أنيابِها السمُّ ناقعُ»[٢٩]

(٢٥) أبوالطيب اللغوي : مراتب النحويين ص١٢.

(٢٦) الجمحي : طبقات فحول الشعراء جـ١ ص١٨.
وانظر : أبوالطيب اللغوي : مراتب النحويين ص١٢.
وانظر : السيرافي : أخبار النحويين البصريين ص٢٧.

(٢٧) أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه (ت١٨٠هـ) ـ كتاب سيبويه ـ ٥م ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ عالم الكتب ـ بيروت، جـ٣ ص٣١٢ ـ ٣١٣.

(٢٨) الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء ـ جـ١ ص١٦.

(٢٩) سيبويه ـ كتاب سيبويه جـ٢ ص٨٩. ساورتني : واثبتني. الضئيلة : الدقيقة. الرقش : جمع رقشاء وهي المنقطة بسواد. الناقع : الخالص أو الثابت (حاشية الكتاب).

وكان ابنُ أبي اسحاقَ يوجّه الشعرَ ـ على الرغمِ من تشدُّدِه ـ توجيهاً مقبولاً لا يعرفهُ يونسُ ولا أبوعمرو بنُ العلاء، قال ابنُ سلامَ : «وقال يونسُ : قال ابنُ أبي اسحاقَ في بيت الفرزدق :

وعضُّ زمـان يـا ابـنَ مـروانَ لم يـدَعْ مـن المـالِ إلّا مسـحتـاً أو مجـرَّفـا

ويروى أيضاً مُجلَّفُ . . . للرفعِ وجه : قال أبوعمرو : ولا أعرفُ لها وجهاً وكان يونسُ لا يعرف لها وجها، قلت ليونس : لعل الفرزدقَ قالها على النصبِ ولم يأبَهْ ! فقال : لا، كان يُنشِدُها عليه الرفعِ ، وأنشد فيها رؤية على الرفعِ »[٣٠].

ويبدو أن الفرزدقَ كان يحاول حضور مجلسِ ابنِ أبي اسحاقَ ليستفيدَ منه ويتلافى تخطئته إلّا أن ابن أبي اسحاقَ كان يتعمد إثارته فقد قال له في أحد مجالسه، كيف تُنشِدُ هذا البيت :

وعينـانِ قـال الله كـونـا فكـانتـا فعـولانِ بـالألبـاب مـا تفعـل الخمـر

قال الفرزدق : كذا أُنشدُه، فقال ابن أبي اسحاقَ : ما كان عليه لو قلت : فعولين فقال الفرزدقَ : لو شئتَ أن أسبّح لسبحتُ. فقال ابن أبي اسحاقَ : لو قال فعولين، لأخبرَ أن الله خلقَهما وأمرهما، ولكنه أراد : هما يفعلانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ[٣١].

ولعل براعةَ ابن أبي اسحاقَ في النحوِ واللغةِ هي التي فَتَحت له المجالَ لأن يجليَ ويبرعَ في القراءاتِ فقد كان «أحدَ الأئمةِ في القراءات والعربية»[٣٢] قرأ على يحيى بنِ يعمرَ[٣٣]، وقرأ هو وأبوعمرو بنُ العلاء على نصرِ بنِ عاصم[٣٤]. وروى عن أنسِ بنِ مالك[٣٥]، وهو من عائلة توارثت علمَ القراءةِ فقد روى عن أبيه عن جدِّه عن علي بن أبي طالب وعثمانَ بنِ وهبٍ، وهو جَدُّ يعقوبَ أحدِ القراء العشرةِ وقد روى عن جدِّه[٣٦]. وهو في رأي الأستاذ

(٣٠) الجمحي : طبقات فحول الشعراء ٢١/١. الجلف : الذي ذهب خيره (الحاشية).
(٣١) الزجاجي : مجالس العلماء ص٢٧١.
(٣٢) السيوطي : بغية الدعاة جـ٢ ص٤٢.
(٣٣) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص٢٨.
القفطي : أنباه الرواة جـ٢ ص١٠٥.
ابن الجزري : غاية النهاية : جـ١ ص٤١٠.
(٣٤) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص٢٧.
(٣٥) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب جـ٥ ص١٤٨.
(٣٦) المصدر نفسه جـ٥ ص١٤٨.

سعيدِ الأفغاني «أفضلُ من بعضِ القراءِ السبعةِ»(٣٧)، وأخذ عنه القراءةَ عيسى بنُ عمر وأبوعمرو هارونُ بنُ موسى(٣٨).

وقد كان جريئاً في قراءتِه غير هَياب أحداً حتى بلالَ بنَ أبي بردةَ كان يخالفُه ولا يهابهُ، فقد اختلفا في قراءةِ (بملكِنا)(٣٩) فقرأ ابنُ أبي بردةَ بفتح الميمِ، وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ بضم الميم، فتناقشا واختلفا، فتراضيا بأبي عمرو ففضلَ قولَ بلالَ، فقال له ابنُ أبي اسحاقَ : أما قرأنا على مجاهدٍ (بمُلكنا) ؟ فقال له أبوعمرو : أخبرتُ بما عندي(٤٠).

وكان ابنُ أبي اسحاقَ يلجأُ إليه في تبيين الصحيح في القراءةِ، فهذا يونسُ يأتيهِ ويسألهُ : كيف تقرأ (فإذا بَرِقَ البَصَرْ)(٤١) فيقول : فإذا بَرَق البصرُ ويفتحُ الراءَ، فيمضي يونسُ إلى أبي عمرو، فيسأله هذا : من أين بك ؟ فيقولُ من عندِ ابنِ أبي اسحاق، سألته كيف تقرأ : فإذا برق البصر، فقال : فإذا بَرَقَ البصرُ بفتح الراء، فيقول أبوعمرو ـ وكان بينهما تنافسٌ شديد ـ وأين يراد به يقال : بَرَقَتِ السماءُ وبَرَقَ النبتُ وبَرَقَتِ الأرضُ، فأما البصَر فبرقِ كذا سمعنا(٤٢).

وكان قادراً على أن يفرقَ بينَ دقائقِ الأمورِ في اللغةِ والقراءةِ، فقد اختُلفَ في قراءةِ (حتى إذا بَلَغَ بَينَ السُّدَّين)(٤٣) في حركة السين، فقال عَكرمةُ : كُلُّ ما كانَ من صنعِ الله جلَّ وعز فهو سُد بالضم، وما كان من صنعةِ بني آدمَ سَدّ بالفتح، وقال أبوعمرو بنُ العلاء : هو الحاجزُ بينك وبين الشيء، والسُّدُّ بالضم ما كان من غشاوةٍ في العين. أما ابنُ أبي اسحاق فقال : السَد بالفتح ما لم تَرَهُ عيناك، والسُّد بالضم ما رأته عيناك(٤٤).

---

(٣٧) انظر : أبوزرعة عبدالرحمن بن محمود بن زنجلة (ت٤٠٣هـ ـ ١٠١٢م) حجة القراءات (الحاشية) ـ ١جـ ـ تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ ص١٨ (الحاشية للمحقق).

(٣٨) ابن الجزري : غاية النهاية جـ١ ص٤١٠.

(٣٩) سورة طه آية ٨٧.

(٤٠) الزجاجي : مجالس العلماء ـ مجلس ١١٦ ص٢٤٧.

(٤١) سورة القيامة آية ٧.

(٤٢) الزجاجي : مجالس العلماء ـ مجلس ١١٦ ص٢٤٧.

(٤٣) سورة الكهف آية ٩٣.

(٤٤) انظر : أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ ـ ١٩٥٠م) إعراب القرآن ـ ٣م ـ تحقيق د. زهير غازي زاهد ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٩م ـ جـ٢ ص٢٩٣.
وانظر : أبوحيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ ـ ١٣٥٣م) ـ البحر المحيط ـ ٨م ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ ـ ج٣ ص١٦٣.

وكان علماءُ العربيةِ والقراءاتِ يُجلّونَهُ من خِلالِ الاشارةِ إلى قراءاتهِ، فهذا ابنُ النحاس يقولُ فيه بعد أن يشيرَ إلى قراءته بعضَ أواخرِ الكلمات بياء : «وقد قرأ ابن أبي اسحاق على جلالتِهِ ومحلِّه من العربيةِ هذهِ كلَّها بالياء»(٤٥). وهذا أبوحيان يدفعُ عنه أن يقرأ قراءةً لا وجه لها في العربيةِ ويرى أن ذلك حصل فإنما يعود إلى وهمِ القراء وذلك كما حدث في قراءته قولَه تعالى (إن البقَرَ تَشَابَهُ علينا)(٤٦) بتشديد شين (تشابه) والحاق تاءِ تأنيث في مرة أخرى أي (تشّابَهَتْ) فقد قال في هذه القراءةِ : «ويمكنُ أن تُوجَّه هذه القراءةُ على أن أصلَه (اشّابهت) والتاء هي تاء البقرة وأصلُه أن البقرة اشابهت علينا، ويُقوي ذلك إلحاقُ تاءِ التأنيثِ في آخرِ الفعل و (اشّابَهَتْ) أصلُه تَشابَهَت فأدغمت التاء في الشين واجتلبت همزة الوصل فحين أدرَجَ ابنُ أبي اسحاقَ القراءةَ صار اللفظُ أنّ البقرة اشّابَهَت فظَنَّ السامعُ أنّ تاءَ البقرةِ هي تاءٌ في الفعل إذ النطقُ واحدٌ فتُوهم أنه قرأ : تشّابهت وهذا لا يُظَنُّ بابنِ أبي اسحاقَ فإنه رأسٌ في عِلمِ النحو وقد كان ابن أبي اسحاقَ يُزري على العربِ وعلى من يستشهد بكلامِهم كالفرزدَق إذا جاء في شعرِهِم ما ليس بالمشهورِ في كلام العربِ فكيف يقرأ قراءةً لا وجهَ لها»(٤٧). «وكيف لا يجلّونه وهو «من أهلِ بيتِ العلمِ بالقرآنِ والعربيةِ وكلامِ العربِ والروايةِ الكثيرةِ للحروفِ والفقهِ»(٤٨).

ينابيع قراءته :ـ

والمتتبعُ قراءةَ ابن أبي اسحاقَ يتبين له أنها مختارةٌ بتوجيهِ عواملَ عدةٍ، وذلك يُعرفُ من خلالِ عرضِ علماءِ القراءاتِ لها واستدلالِهم على حُجّيتها ومن هذه الينابيع :ـ

الأصلُ اللغويُّ للفظِ، لغاتُ القبائلِ المختلفةِ، المدلولُ النحويُّ، المدلولُ المعنويُ، الآيات القرآنيّةُ والانسجامُ القرآني.

أ ـ الأصل اللغوي :

فقد قرأ (القُدُس)(٤٩) بالضم على الأصل، قال مكيُّ بنُ أبي طالب عن وجوهِ قراءةِ هذا اللفظ : «قراءةُ ابن كثير بالإسكانِ حيث وُقع على الاستخفافِ لتوالي ضمّتين

(٤٥) (ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص٤٩٢.
(٤٦) سورة البقرة آية ٧٠.
(٤٧) أبوحيان : البحر المحيط جـ١ ص٢٥٤.
(٤٨) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص٥١.
(٤٩) سورة البقرة آية ٨٧.

وهي لغةُ، تقول العربُ الحُلْم ًوالحِلْم والطنَب والطنْب والقُدْس والقُدس. وقرأهَ الباقون بالضمِ على الأصلِ وهو الاختيارُ لإجماعِ القراءِ عليه ولقلةِ حروفِ الكلمةِ وخِفّتِها. وبذلك قرأ الحسنُ ومجاهدُ وابنُ أبي اسحاقَ»(٥٠).

وقرأ (عليهُمُو)(٥١) بضم الهاءِ ومدٍّ ضمَّ الميمِ ليتحولَ واواً على الأصلِ قال ابن جُني : «قرأ (عليهْمُو) ابنُ أبي اسحاقَ وعيسى الثقفيُ . . . قال أبوالفتحِ أما (عليهُمُو) فهي الأصلُ لأنها رسيلةُ عليها في التشفيةِ أعني : ثباتُ الواوِ كثباتِ الألف، وينبغي أنْ تعلَم أنّ أصلَ هذا الاسمِ المضمرِ الهاءُ ثم زيدَتْ عليها الميمُ علامةً لتجاوزِ الواحد من غير اختصاص بالجمع ألا ترى الميمَ موجودةً في التثنيةِ (عليهِما) وأما الواوُ فلإخلاصَ الجمعيةِ»(٥٢). وقال ابنُ النحاس : «قرأ ابنُ أبي اسحاقَ (أنعمت عليهُمو) بضم الهاءِ وإثباتِ الواو وهذا هو الأصلُ أن تُثبِتَ الواوَ كما تُثبِتُ الألفَ في التثنية»(٥٣).

وقرأ (ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله)(٥٤) على الأصلِ(٥٥).

وقرَأَ (اشتروِا الضلالةَ)(٥٦) على الأصلِ، قال ابنُ النحاس : «قرأ ابنُ أبي اسحاقَ ويحيى بنُ يعمرَ (اشتروِا الضلالةَ) بكسرِ الواوِ على الأصلِ لالتقاء الساكنين. وأجاز الكسائي (اشتروُا الضلالةَ) بضم الواوِ كما يقال (أُقّتَت)(٥٧)»(٥٨).

وكان يقرأُ (فتمنوِا الموت)(٥٩) بالكسرِ أيضاً(٦٠).

---

(٥٠) انظر : أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ - ١٠٤٥م) - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها
٢م - تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٤م - جـ١ ص٢٥٣.

(٥١) سورة الفاتحة آية ٧.

(٥٢) انظر : أبوالفتح عثمان بن جني - (ت٣٩٣هـ - ١٠٠٢م) - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات - تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبدالفتاح شلبي - لجنة إحياء التراث الاسلامي - القاهرة - ١٩٦٩م - جـ١ ص٤٤.

(٥٣) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص١٢٤.

(٥٤) سورة الفتح آية ١٠.

(٥٥) انظر : ابن النحاس - إعراب القرآن جـ٣ ص١٨٨.

(٥٦) سورة البقرة آية ١٦.

(٥٧) سورة المرسلات آية ١١.

(٥٨) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٣٦٧.

(٥٩) سورة البقرة آية ٩٤.

(٦٠) أبوحيان - البحر المحيط جـ٢ ص٣١٠.

ولعلَّهُ في هذا الاتجاهِ ـ كسر أولِ الساكنين وهو أصلُ التخلص من التقاء الساكنين ـ متأثرٌ بأستاذه يحيى بنِ يعمر الذي كان يقرأ[٦١] بالكسرِ أيضاً (ولا تنسوا الفضلَ بينكم)[٦٢] ويُلحَظُ في كتاب سيبويه أن سيبويه والخليلَ كانا يميلان إلى الضمِ لأن الكسرَ لغةٌ قليلةٌ قال : «هذا بابُ ما يُضمُ من السواكنِ إذا حذفت بعد ألفِ الوصلِ وذلك الحرفُ الواوُ التي هي علامةُ الاضمارِ إذا كان ما قبلها مفتوحاً وذلك قولُه عز وجل (ولا تنسوُا الفضلَ بينكم) ورموُا ابنك واخشوُا الله، فزعم الخليل أنهم جعلوا حركة الواو ليفصل بينها وبين الواوِ التي هي من نفسِ الحرف نحو واولو وأو.

وقد قال قومٌ (لا تنسوِا الفضلَ بينكم) جعلوها بمنزلةِ ما كسروا من السواكنِ وهي قليلة»[٦٣].

ب ـ لغات القبائل :

فكان يقرأ (هُدَىً) بقلبِ ألفِ آخرِ المقصورِ ياءً إذا أُضيفَ إلى ياء المتكلمِ على لغةِ هُذَيل قال ابنُ جني « . . . ومن ذلك قراءةُ النبي ﷺ وأبي الطفيل وعبدِالله بن أبي اسحاقَ وعاصمٍ الجحدري وعيسى بن عمرَ الثقفي (هُدَىَّ)[٦٤]. قال أبوالفتح : هذه لغةٌ فاشيةٌ في هذيل وغيرِهم أن يقلبوا الألف من آخرِ المقصورِ إذا أُضيفَ إلى ياءِ المتكلمِ ياءً، قال الهذلي :

سبقــوا هِــوَىَّ وأعنقــوا لهــواهُمُ فتُخُرِموا ولكــلِ جنبٍ مصرعُ»[٦٥]

وعلَّلَ أبوعلي الفارسيُ هذهِ اللغةَ بقولِهِ : «وجهُ قلبِ هذهِ الألفِ لوقوعِ ياءِ ضمير المتكلم بعدها أنه موضعٌ ينكسِرُ فيه الصحيحُ نحو : هذا غُلامي ورأيت صاحبي، فلما لم يتمكنوا من كسرِ الألفِ قلبوها ياءً فقالوا : هذه عَصيَّ وهذا فتيَّ، أي عصايَ وفتايَ، وشبهوا ذلك بقولِ : مررتُ بالزَيدَينِ، لـمَّا لم يتمكنوا من كسرِ الألف للجرِ قلبوها ياءً ولا يجوزُ أن تُقلبَ ألفُ التثنيةِ لهذهِ الياء فتقول : هذان غلاميَّ لما فيه من زوالِ عَلَمِ

(٦١) المصدر نفسه جـ٢ ص٢٣٨.
(٦٢) سورة البقرة آية ٢٣٧.
(٦٣) سيبويه ـ كتاب سيبويه جـ٤ ص١٥٥.
(٦٤) سورة البقرة آية ٣٨. من قوله تعالى (فمن تبع هُدَاى فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).
(٦٥) ابن جني : المحتسب جـ١ ص٧٦.
وانظر : أبوحيان ـ البحر المحيط جـ١ ص١٦٩.

الرفع ولو كانت ألفُ عصا ونحوِها عَلَماً للرفعِ لم يجُزْ فيها عصيّ»(٦٦).

وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ وفقاً لهذهِ اللغةِ (يا بُشْريَّ)(٦٧) قال ابن جني : «ومن ذلك قراءةُ أبي طفيل والجحدري وابنِ أبي اسحاقَ ورويت عن الحسنِ : يا بُشْريَّ . . . ونظائره كثيرة جداً»(٦٨).

وقرأ وفقاً لها أيضاً (ومَحْيَّي ومماتيَ)(٦٩) قال أبوحيان : وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ وعيسى وعاصمُ الجحدري (ومحيَّي ومماتي) بالإدغامِ وهذا وجهٌ جيد في العربيةِ لما كانت الياءُ يُغَيِّرُ ما قبلها بالكسرِ»(٧٠).

ومما قرأهُ على لغاتِ القبائلِ قراءتهُ على لغةِ سُفلى مُضَر (يُرؤَّونَ) بالتشديد، قال ابنُ النحاس : «وقرأ ابن أبي اسحاق . . .) (يُرؤُّون الناسَ)(٧١) على وزن (يُدَعُّون)(٧٢) وحكى أنها لغة سفلى مضر، والقراءةُ الأولى أولى لإجماعِهم على (الذين يراءون)(٧٣)، ويقال فلانٌ مراءٍ، ومثل ذلك (رِئاء الناسِ)(٧٤)»(٧٥).

وقرأ على لغةِ بعضِ أهلِ نجد (ويُنعِه) بضم الياء، قال ابنُ النحاسِ «وقرأ ابنُ محيصن وابنُ أبي اسحاقَ (يُنعه)(٧٦) بضم الياء، قال القراء : الضمُّ لغةُ بعضِ أهلِ نجد»(٧٧).

وقرأ على لغةِ أهلِ الحجازِ (وعَلِم أنّ فيكم ضُعْفاً)(٧٨) بضم الضاد : قال أبوحيان : «وقرأ الحرميان . . . وابن أبي اسحاقَ (ضُعْفاً) . . . بضم الضادِ وسكونِ العين . . . وعن أبي عمرو بنِ العلاء بضم الضادِ لغةُ الحجاز وفتحِها لغةُ تميم»(٧٩).

---

(٦٦) ابن جني : المحتسب جـ١ ص٧٦.
(٦٧) سورة يوسف آية ١٩.
(٦٨) ابن جني : المحتسب جـ١ ص٣٣٦.
(٦٩) سورة الأنعام آية ١٦٢.
(٧٠) أبوحيان : البحر المحيط جـ١ ص٥٩٦.
(٧١) سورة النساء آية ١٤٢.
(٧٢) سورة الطور آية ١٣.
(٧٣) سورة الماعون : آية ٦ - (الذين هم يراءون).
(٧٤) سورة البقرة آية ٢٦٤.
(٧٥) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٤٦٣.
(٧٦) سورة الأنعام آية ٩٩ - من الآية (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعِه).
(٧٧) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٥٧٠.
(٧٨) سورة الأنفال آية ٦٦.
(٧٩) أبوحيان : البحر المحيط جـ٤ ص٥١٧.

وقرأ على لغةِ بكرٍ وتميم (وطورِ سينين)[٨٠] بفتح السين، قال أبوحيان : «وقرأ الجمهور (سِنين) وابنُ أبي اسحاقَ ... بفتح السين، وهي لغةُ بكر وتميم»[٨١].

وقرأ (بين الـمُرءِ وزوجِه)[٨٢] بضم الميمِ وسكونِ الراءِ والهمزِ على لغةٍ من لغاتِ هذا اللفظ، قال ابن جني : «... ومن ذلك قرأ الحسنُ وقتادَةُ (بين الـمَرِّ وزوجه) بفتح الميم وكسر الراءِ خفيفةً من غير همز ... وقراءةُ ابن أبي اسحاقَ (الـمُرْءِ) بضم الميم وسكون الراءِ والهمزِ ... وأما قراءةُ ابن أبي اسحاقَ (الـمُرْءِ) بضم الميم والهمز فلغة فيه»[٨٣].

جـ ـ الدلالة المعنوية :

والأصلُ أن يكون للدلالةِ المعنويةِ أثرٌ في كلِّ قراءةٍ تُقرأ، ولا بد لمن يقرأُ من أن يكون عالماً باللغةِ والفروقِ الدلاليةِ وهكذا كانَ ابن أبي اسحاق :ـ

فقد قرأ قوله تعالى (اثم كبير) بالباء حملاً على أنّ شربَ الخمر من الكبائر فيجب أنّ يوصفَ الاثمُ بالكِبَر بينما قرأه آخرون بالثاء حملاً على أنّ الخمرَ تحدُثُ مع شربها آثامٌ كثيرةٌ، وقد وضّحَ مكي بنِ أبي طالب فقال : «قوله (إثم كبير)[٨٤] قرأه حمزة والكسائيُ بالثاء جعلاه من الكثرةِ حملاً على المعنى، وذلك أنّ الخمرَ تحدث مع شربها آثامٌ كثيرة من لَغَطٍ وتخليطٍ وسبٍ وأيمانٍ ... فوجَبَ أن توصفَ بالكثرةِ، وقد قال بعد ذلك (ومنافع للناس) فجمع المَنافع وكذلك يجب أن تكونَ الآثام جمعاً والجمعُ يوصف بالكثرةِ ... وقرأ الباقونَ بالباءِ من «الكبر» على معنى العِظَم أي فيها أثرٌ عظيمٌ ويقوي ذلك إجماعُهم على قوله (واثمهما أكبرُ من نفعِهما)[٨٥] بالباء من العِظَم وقد أجمعوا على أن شُربَ الخمر من الكبائرِ فوجَبَ أن يوصفَ اثمُهُ بالكبر، وقد وصف الله الشركَ بالعِظَم فقال (إنّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ)[٨٦] فكذلكَ ينبغي أن يوصَفَ ما قرُبَ من الشركِ بالعِظَم وهو شُربُ الخمر لأنهما كبائر، والعِظَمُ والكبائرُ سواءٌ ... وبه قرأ الحسنُ ... وابنُ

(٨٠) سورة التين آية ٢.
(٨١) أبوحيان : البحر المحيط جـ٨ ص٤٨٩.
(٨٢) سورة البقرة آية ١٠٢.
(٨٣) ابن جني : المحتسب جـ١ ص١٠١.
(٨٤) سورة البقرة آية ٢١٩.
(٨٥) سورة البقرة آية ٢١٩.
(٨٦) سورة لقمان آية ١٣.

أبي اسحاقَ وعليه العامة»(٨٧).

وقرأ قوله تعالى (فاتخذتموهم سِخريا)(٨٨) بضم السين على معنى التخديم والسُّخرِ قال أبوحيان : «وقال أبوعبيدةَ والكسائيُ والفراءُ بضم السين من السُخرة والاستخدام، والكسر من السّخر وهو الاستهزاءُ وقال يونس : إذا أُريد التخديم فضمُ السين لا غير وإذا الهُزءُ فالضمّ والكسر. قال ابن عطية : وقرأ أصحابُ عبدِالله وابنُ أبي اسحاقَ والأعرجُ بضم السين كلَّ ما في القرآن، وقرأ الحسنُ وأبوعمرو بالكسرِ إلاّ التي في الزخرفِ فإنهما ضمَّا السينَ كما فعل الناسُ»(٨٩).

وقرأ قوله تعالى (ولتكْمِلوا)(٩٠) بتشديد الميمِ على معنى التأكيدِ والتكريرِ قال مكيُ بنُ أبي طالب : «قولُه (ولتكْمِلوا) قرأهُ أبوبكر مشدداً مفتوح الكافِ وقرأة الباقونَ مخففاً ساكنَ الكافِ وهما لغتان : أكملت العدد وكمَّلتهُ، . . . ويقوي التشديد أنّ فيه معنى التأكيدِ والتكريرِ وبه قرأ الحسنُ . . . وابنُ أبي اسحاقَ والجحدري وغيرُهم»(٩١).

وقرأ قولَه تعالى (قال أعلَمُ)(٩٢) بقطع الهمزةِ على معنى الإخبارِ عن النفسِ قال مكّي بنُ أبي طالب : «قوله (قال أعلَمُ) قرأه حمزة والكسائي بوصل الألف والجزمِ وقرأه الباقونَ بقطعِ الألفِ والرفعِ. وحجةُ من قرأ بالقطعِ أنه أخبَرَ عن نفسِه عندما عاينَ من قدرةِ الله في إحيائهِ الموتى فتعيّنَ ذلك بالمشاهدةِ فأقر أنهُ يعلمُ أنّ الله على كلِ شيءٍ قديرُ، أي أعلَمُ أنا هذا الضربَ من العلم لم أكن أعلمُهُ معاينةً وبه قرأ الحسنُ . . . وابنُ أبي اسحاقَ . . . وحجة من قرأ بوصلِ الألفِ أنه جعلها أمراً معناه الخبرُ وذلك أنه لما عاين الأحياءَ وتيقَنَ أنزَلَ نفسَهُ منزلةَ غيرهِ فخاطبها كما يخاطِبُ غيرَهُ، فقال : اعلمَ يا نفسُ هذا علمَ اليقينِ، وهو جائزٌ حسن»(٩٣).

د ـ الدلالةُ النحويةُ :

فقد كان للمفاهيمِ النحويةِ أثرٌ في قراءتِه، ومن هنا يختلفُ النحويُّ القارئُ عن غيرهِ إذّ يبدو لعلم النحو عنده أثرٌ واسعٌ في قراءاته :ـ

(٨٧) مكي بن أبي طالب ـ الكشف عن وجوه القراءات جـ١ ص٢٩١.
(٨٨) سورة المؤمنون آية ١١٠.
(٨٩) أبوحيان : البحر المحيط جـ٦ ص٤٢٣، والقرطبي : تفسير القرطبي جـ١٢ ص١٥٤.
(٩٠) سورة البقرة آية ١٨٥.
(٩١) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات جـ١ ص٢٨٣.
(٩٢) سورة البقرة آية ٢٥٩.
(٩٣) مكي بن أبي طالب ـ الكشف عن وجوه القراءات جـ١ ص٣١٢.

فقد قرأ قوله تعالى (ليس البرّ)[٩٤]بالرفع انطلاقاً من المفهوم النحوي القائل : أن اسم «ليسَ» كالفاعل ورتبةُ الفاعلِ أن يلي الفعلَ. وقد وضّحَ مكيُ بنُ أبي طالب المفهومَ النحويَ في القراءتين قراءة الرفع وقراءةِ النصبِ قال : «قوله (ليس البَرَّ) قراءة حمزة وحفص بالنصب، وقَرأه الباقون بالرفع، ووجه القراءةِ بالنصب أنّ «ليس» من أخواتِ كانَ يقعُ بعدها المعرفتان فتجعلُ أيُّهما شئتَ الاسمَ والآخرَ الخبرَ، فلما وقع بعد (ليس) (البر) وهو معرفة، و(أن تُولُّوا) معرفة لأنه مصدرٌ بتقديرِ توليتكم جعل (البر) الخبرَ فنصبه، وجعل (أن تولوا) الاسمَ فقدر رفعه وكان المصدرُ أولى بأن يكونَ اسماً لأنه لا يتنكر.

ووجه القراءةِ بالرفع أنّ اسم «ليس» كالفاعل، ورتبةُ الفاعل أنّ يلي الفعلَ، فلما ولي (البر) (ليس) رُفع، ولو نُصب (البر) لوجب أن يكونَ الكلامُ غيرَ رتبته، وأن يُنوى بـ (البر) التأخيرُ فيكونُ الكلامُ على رتبتِهِ التي أتت به التلاوةُ أولى من أن يحدُث فيه ما يحتاجُ معه إلى التقديم والتأخير ويقوي رفعَه، رفعُ (البر) الثاني الذي معه الباءُ إجماعاً في قوله (وليسَ البرُّ بأن تأتوا)[٩٥] ولا يجوز فيه إلّا رفعُ (البر) وهو الاختيارُ لإجماع القراءِ عليه ولأنه رتبةُ الكلامِ وبه قرأ الحسنُ ... وابنُ أبي اسحاق ...»[٩٦].

وقرأ قوله تعالى (فلا رفثَ ولا فسوق)[٩٧] بالفتحِ في اللفظين على فهم أن «لا» للنفي العام، وأنها لا النافية للجنس لا النافيةُ للوحدة، قال مكي يوضحُ ذلك : «قوله «فلا رفثَ ولا فسوقَ) قرأهما ابنُ كثير وأبوعمرو بالتنوين والرفع وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين ... ووجه القراءةِ بالرفع والتنوينِ أنّ «لا» بمعنى «ليس» فارتفع الاسمُ بعدها لأنه اسمُها والخبرُ محذوفٌ تقديرهُ بـ : فليس رفثٌ ولا فسوقٌ في الحج ... ووجهُ القراءةِ بالفتح من غير تنوين أنه أتى بـ«لا» للنفي لتدل على النفي العام فنُفي جميعُ الرفثِ وجميعُ الفسوقِ كما تقول : لا رجلَ في الدار فتنفي جميع الرجال، والمقصودُ في الآية : نفيُ جميعِ الرفث والفسوق فكان الفتحُ أولى به لتضمينه لعموم الرفثِ كلِّه ... وبه قرأ الأعرجُ ... والحسنُ وابنُ أبي اسحاق»[٩٨].

---

(٩٤) سورة البقرة آية ١٧٧.

(٩٥) سورة البقرة آية ١٨٩.

(٩٦) مكي بن أبي طالب ـ الكشف عن وجوه القراءات جـ١ ص٢٨٠.

(٩٧) سورة البقرة آية ١٩٧.

(٩٨) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات جـ١ ص٢٨٥.

وقرأ قوله تعالى (حتى يقولَ الرسول)[٩٩] بنصب الفعل على أن «حتى» جعلت للغاية بمعنى «إلى أنْ»، قال مكي : «قوله (حتى يقول الرسول) . . . قرأه نافع بالرفع وقرأه الباقون بالنصب ووجه القراءةِ بالرفع أن الفعل دالٌ على الحال التي كان عليها الرسول، ولا تعمل «حتى» في حال، فلما كان ما بعدها للحال لم تعمل فيه . . . ووجه القراءةِ بالنصب أن «حتى» جُعلت غايةً للزلزلة فنصبت بمعنى «إلى أن» والتقدير : وزلزلوا إلى أن قال الرسول : فجعل «قول الرسول» غاية لخوفِ أصحابه أي : لم يزالوا خائفين إلى أن قال الرسول، فالفعلانِ قد مضيا جميعاً، ويُنصب بـ «حتى» في الكلام بمعنى «كي» كقولك : أسلمتُ حتى أدخلَ الجنَّةَ، فالاسلامُ كان والدخولُ لم يكن . . . وبالرفع قرأ الأعرج ومجاهد وبالنصبِ قرأ الحسنُ . . . وابنُ أبي اسحاق، وهو الاختيارُ لأن عليه جماعةَ القراءِ»[١٠٠].

وقال ابنُ النحاس يوضح قراءةَ النصب : «ومذهبُ سيبويهِ في «حتى» أن النصبَ في ما بعدها في جهتين : تقول سرت حتى أدخلها على أن السير والدخول جميعاً قد مضيا أي : سرت إلى أن أدخلَها، وهذا غايةٌ، وعليه قراءةُ من قرأ بالنصب، والوجهُ الآخرُ في النصب في غير الآية سرت حتى أدخلَها أي : كي أدخلها»[١٠١].

وقرأ ابنُ أبي اسحاق قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقونَ قل العفوُ)[١٠٢] برفع (العفو) على أنه خبرٌ لمحذوفٍ. قال ابن النحاس : «وقرأ أبوعمرو وعيسى بنُ عمر وابنُ أبي اسحاق (قل العفوُ) بالرفع، قال أبوجعفر : ان جعلت «إذا» بمعنى «الذي» كان الاختيارُ الرفع وجائزٌ النصب، وإن جعلت «ماذا» شيئاً واحداً كان الاختيارُ النصبَ وجاز الرفعُ، وحكى النحويون : ماذا تعلمتَ أنحواً أم شعراً ؟ بالنصب والرفع على أنهما جيدان حسنان إلاّ أنّ التفسيرَ في الآيةِ يدلُ على النصبِ»[١٠٣].

وقرأ قوله تعالى (أفأُنبئكم بشرٍ من ذلكُمُ النارُ وعدها الله الذين كفروا)[١٠٤] بجر (النارِ) على البدلِ، وقرأها آخرون بالرفع على إضمار مبتدأ قال أبوحيان : «وقرأ

(٩٩) سورة البقرة آية ٢١٤.
(١٠٠) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات جـ١ ص٢٩٠.
(١٠١) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٢٥٥.
(١٠٢) سورة البقرة آية ٢١٩.
(١٠٣) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٢٦٠.
(١٠٤) سورة الحج آية ٧٢.

الجمهورُ (النارُ) رفعاً على إضمارِ مبتدأ، كأنّ قائلاً يقول : قال : وما هو ؟ قال : النارُ، أي : نارُ جهنم. وأجاز الزمخشري أن تكون «النارُ» مبتدأ، و وعدها» الخبرَ . . . وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ . . . «النارِ» بالجرِ على البدلِ من «شرٍ»»[١٠٥].

هـ ـ الآياتُ القرانيةُ :

وهي منبع «ثر» للقارىءِ لكي يسترفده ويترشِدَ به دائماً وكلما عز عليه الدليلُ من الأدلةِ السابقةِ :

فقد كان ابنُ أبي اسحاقَ يقرأ (فأزلّهما)[١٠٦] بغير ألف وبالتشديدِ مستوحياً ذلك من آياةٍ عدةٍ قال مكي : «قولُهُ (فأزلّهما) قرأ حمزةُ بألفٍ مخففةٍ وقرأهُ الباقون بغير ألفٍ مشدّداً، وعلةُ من قرأ بالألفِ أنه جعلهُ من الزوالِ وهو التنحيةُ واتبع في ذلك مَطابقةَ معنى ما قبلهُ على الضدّ وذلك أنه قال تعالى ذكرهُ لآدمَ (اسكن أنت وزوجُك الجنةَ)[١٠٧] فأمرهما بالثباتِ وضدُ الثباتِ الزوالُ . . . وعلةُ من قرأ بغير ألفِ الإجماعُ في قوله (إنما استزلّهُمُ الشيطانُ)[١٠٨] أي أكسبهمُ الزلة فليس للشيطان قدرةٌ على زوالِ أحدٍ من مكان إلى مكان، إنما قدرتهُ على إدخالِ الانسانِ في الزللِ فيكونُ ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبهِ، ويُقوي ذلك أنه قال في موضع آخرَ (فوسوس لهما الشيطانُ)[١٠٩] والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزلل بالمعصية وهي الزلةُ لا الزوال، وأيضاً فإنه قد يحتمل أن يكون معنى (فأزلهما) من زلّ عن المكان إذا تنحى عنه فيكونَ في المعنى كقراءةِ من قرأ من الزوال. والاختيارُ القراءةُ بغير ألف لما ذكرنا من العِلةِ ولأنه قد يكونُ بمعنى «فأزالهما» فيتفقُ معنى القرائتين، ولأنه إجماعٌ من القراء غير حمزةَ ولأنه مرويٌ عن ابنِ عباس وبه قرأ أبوجعفرَ يزيدُ . . . وابن أبي اسحاقَ»[١١٠].

وقرأ قولَهُ تعالى (أونردَّ) بنصب الدال مستوحياً الآيةَ التي قبلها. قال ابنُ جني : «ومن ذلك قراءةُ ابن أبي اسحاقَ (أونردَّ) بنصبِ الدالِ، قال أبوالفتحِ : الذي قبلَهُ مما هو متعلقٌ به قولهُ (فهل لنا من شفعاءَ فيشفعوا لنا)[١١١] ثم قال (أونردَّ فنعمل غيرَ

(١٠٥) أبوحيان : البحر المحيط جـ٦ ص٣٨٩.
(١٠٦) سورة البقرة آية ٣٦.
(١٠٧) سورة البقرة آية ٣٥.
(١٠٨) سورة آل عمران آية ١٥٥.
(١٠٩) سورة الأعراف آية ٢٠.
(١١٠) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات جـ١ ص٢٣٥.
(١١١) سورةالأعراف آية ٥٣.

الذي كنا نعمل)[١١٢] فعطف (نرد) على (يشفعوا) وهو منصوبٌ لأنه جوابُ الاستفهامِ وفيه معنى التمني، وذلك أنّهم قد علموا أنه لا شفيعَ لهم، وإنما يتمنّون أن يكونَ لهم هناك شفعاءُ فيردوا بشفاعتِهم فيعملوا ما كانوا لا يعملونهُ من الطاعةِ فيصيرُ به المعنى إلى أنه كأنهم قالوا : إن نرزقْ شفعاءَ يشفعوا لنا أو نردد. وتقديره على رفعِ «نرد» على قراءة الجماعة : نرزقُ شفعاءَ يشفعوا لنا أو نردَّ نعملُ غيرَ الذي كنا نعملُ وذلك أنهم مع نصب «نرد» تمنوا الشفعاءَ وقطعوا بالشفاعةِ وتمنوا الردَّ أيضاً وضمنوا عمل ما لم يكونوا يعملونه أي : إن نردْ نعملْ غير الذي كنا نعملُ، كأنه قال : أو هل فنعملُ»[١١٣].

ملامح قراءة ابن أبي اسحاقَ :ـ

وفي قراءة ابن أبي اسحاقَ ملامحَ واضحة تُبتدى لمن يمعنُ النظرَ فيها، قد يشاركهُ في بعضِها غيرُه من القراءِ إلّا أنها تبقى علاماتٍ تشيرُ إلى الخطِّ الذي نَهجهُ وسارَ عليه ومن هذه الملامحِ : أنه انفردَ بقراءاتٍ وخالفَ الجمهورَ، وخالفَ الرسمَ، وكان يميلُ إلى عَدم حذفِ الياءِ الأخيرةِ، وإلى البناءِ للمعلومِ ، وإلى النصبِ، وإلى فتح همزةِ أنَّ، وإلى تحريكِ الوَسطِ، وإلى التقديرِ، وإلى قراءةِ اللفظِ الواحدِ قرائتين وأكثرَ.

أ ـ انفـــــراده :ـ

فقد انفردَ بقراءةِ قولهِ تعالى (نونِ والقلمِ)[١١٤] بكسر النون، وقراءتُه هذه من ستِ قراءاتٍ لهذه اللفظِ، قال ابنُ النحاس : «قرأ أكثرُ الناسِ (نون والقلم) ببيان نون، وقرىءَ بخفائِها، وقرىءَ بإدغامها بُغنّة، وبغير غُنّة ورُوي عن عيسى بن عمر أنه قرأ (نون والقلم) وقرأ ابن أبي اسحق(نون والقلم) بالخفضِ، فهذه ست قراءاتٍ، . . . ومن قرأ (نون والقلم) كسر لالتقاء الساكنين»[١١٥].

وانفرد فقرأ (يابُشرّيَّ هذا غلامٌ)[١١٦] قال ابنُ النحاس : «إلّا أنَّ ابنَ أبي اسحاقَ قرأ (يا بشريّ هذا غلامٌ) فقلب الألِفَ ياءً لأن الياءَ يُكسرُ ما قبلها فلما لم يجز كسرُ الألفِ كان قبلها عوضاً»[١١٧].

(١١٢) سورة الأعراف آية ٥٣.
(١١٣) ابن جني : المحتسب جـ١ ص٢٥١.
(١١٤) سورة نون آية ١.
(١١٥) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٣ ص٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(١١٦) سورة يوسف آية ١٩.
(١١٧) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص١٣٠.

وانفرد بقراءةِ قولهِ تعالى (وقالت هَيتَ لك)[١١٨] بفتح الهاء وكسر التاء قال ابن النحاس : «فيها سبعُ قراءات . . . وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ النحويُ (وقالت هَيتِ لك) بفتح الهاء وكسر التاء»[١١٩].

وقد سبق في هذا البحثِ أنَّ ابنَ أبي اسحاقَ كان يقرأ (الـمُرءِ) بضم الميم وسكون الراء والهمز وهي لغة في «الـمَرءِ» من عدة لغات أشرتُ إليها.

ب ـ مخالفة الجمهور :ـ

فقد قرأ (البُدُنَّ) في قوله تعالى (ومما رزقناهم يُنفقون والبُدُنَ) جعلناها لكم)[١٢٠] بضم الباء والدال وتشديد النون مخالفاً الجمهور. قال أبوحيان : «وقرأ الجمهورُ (البُدْن) بإسكان الدال، وقرأ الحسنُ وابن أبي اسحاقَ بضمها وهي الأصل»[١٢١].

وقرأ (قاف) في قوله تعالى (قافِ والقرآنِ المجيدِ)[١٢٢] بكسر الفاء ومخالفاً الجمهور، قال أبوحيان «وقرأ الجمهورُ (قاف) الفاء . . . وبكسرِها الحسنُ وابنِ أبي اسحاقَ . . . والأصلُ في حروف المعجمِ إذا لم تركب مع عاملٍ أن تكونَ موقوفةً . . . ومن كَسَرَ فعلى أصلِ التقاءِ الساكنين»[١٢٣].

وقرأ (أتينا) في قوله تعالى (وان كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتَينا بها)[١٢٤]بعد الهمزةِ على وزنِ فاعلنا مخالفاً الجمهور وقال أبوحيان : «وقرأ الجمهورُ (أتينا) من الاتيان، أي جئنا بها . . . وقرأ ابنُ عباس ومجاهد . . . وابنُ أبي اسحاقَ . . . (آتينا) بمدّه على وزنِ فاعلنا من المواتاة وهي المجازاةُ والمكافأةُ فمعناه : جازينا بها، ولذلك تعدى بحرف جر ولو كان على أفعَلنا من الإتيانِ بالمد على ما توهمه بعضُهم لتعدّى مطلقاً دونَ جار»[١٢٥].

---

(١١٨) سورة يوسف آية ٢٣.
(١١٩) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص١٣٣.
(١٢٠) سورة الحج آية ٣٥، ٣٦.
(١٢١) أبوحيان : البحر المحيط جـ٦ ص٣٦٩.
(١٢٢) سورة قاف آية ١.
(١٢٣) أبوحيان : البحر المحيط جـ٨ ص١٢٠.
(١٢٤) سورة الأنبياء آية ٤٧.
(١٢٥) أبوحيان : البحر المحيط جـ٦ ص٣١٦.

وشواهدُ مخالفةِ الجمهورِ كثيرةٌ ولكنه لم يخالِفْ منفرِداً وإنما كانت مخالفتهُ في معظمِها مع قراءٍ آخرين كثر.

جـ ـ مخالفةُ رسمِ القرآن :ـ

ومخالفةُ الرسمَ إما في زيادة حرف أو إنقاصِ حرف أو حرفين أو في قراءةٍ تؤدي إلى كتابةِ الكلمةِ على غير ما هي مكتوبةٌ عليه.

فقد قرأ (أولا يضارِر) بكسر الراء الأولى وتسكين الثانية وهي في القرآن (ولا يضارّ)[١٢٦] براءٍ واحدة، قال ابن النحاس : «وقرأ ابنُ مسعود (ولا يضارَر) بفتح الراءِ الأولى وهاتان القراءتانِ على التفسير ولا يجوز أن تخالِف التلاوةَ التي في الصحف»[١٢٧].

وقرأ (ماليَ) و (سلطانيَ) بدون هاء في الوصلِ في قوله تعالى (ما أغنى عني ماليه، هلَكَ عني سلطانِيه)[١٢٨] فيكونُ حذفُ الهاءِ مخالفاً لخطِ المصحفِ بينما قرأ الجمهورُ مثبتاً الهاء في الوصلِ والوقفِ مراعاةً لخط المصحفِ، قال أبوحيان «وقرأ الجمهورُ كتابيه)[١٢٩] و (حسابيه)[١٣٠]في موضعيهما و«ماليه» و«سلطانيه» وفي القارعة (ماهيه)[١٣١] بإثبات هاءِ السكتِ وقفاً ووصلاً لمراعاةِ خطِ المصحفِ، وقرأ ابن مُحيصِن بحذفِها وصلاً ووقفاً وإسكانِ الياءِ وذلك : كتابي وحسابي ومالي وسلطاني . . . وابنُ أبي اسحاقَ والأعمشُ بطرحِ الهاءِ فيهما في الوصلِ لا في الوقفِ وفتحِ الياءِ فيهن»[١٣٢].

وقرأ (فله جزاءً حُسنى) بحذفِ (أل) التعريف في «الحسنى» المكتوبةِ في المصحفِ قال ابن النحاس : «(فله جزاءُ الحُسنى)[١٣٣] قراءةُ أهلِ المدينةِ . . . وقرأ سائرُ الكوفيين (فله جزاء الحسنى) وقرأ ابن أبي اسحاق (فله جزاء حسنى) وعن ابن عباس

(١٢٦) سورة البقرة آية ٢٨٢.
(١٢٧) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٣٠١.
(١٢٨) سورة الحاقة آية ٢٨، ٢٩.
(١٢٩) سورة الحاقة آية ٢٦.
(١٣٠) سورة الحاقة آية ٢٦.
(١٣١) سورة القارعة آية ١٠.
(١٣٢) أبوحيان : البحر المحيط جـ٨ ص٣٢٥.
(١٣٣) سورة الكهف آية ٢٨.

. . . (فله جزاءً الحُسنى) منصوباً غيرَ منون . . . والقراءةُ الثالثةُ فيها ثلاثةُ أقوال، قال الفراءُ : «جزاءً منصوبٌ على التمييز، والقولُ الثاني : أن يكون مصدراً، وقال أبواسحاق : هو مصدرٌ في موضعِ الحالِ، أي مُجزياً جزاءً»(١٣٤).

وقرأ (وشركاؤُكم) في قوله تعالى (أجمعوا أمركم وشركاءَكم)(١٣٥) بضم الهمزة لِتُكتب على واوٍ وهذا يخالفُ ما هي عليه في المصحف قال ابن النحاس : «وقرأ الحسن وابن اسحاق . . . (فأجمعوا أمركم وشركاؤكم) بقطع الألف ورفع الشركاء . . . والقراءةُ الثالثةُ (١٣٦) على أنْ يعطفَ الشركاءُ على المضمرِ المرفوعِ وحسُنَ العطفُ على المضمرِ المرفوعِ لأن الكلامَ قد طالَ، وهذهِ القراءةُ تبعُدُ لأنْ لو كانَ مرفوعاً لوجَبَ أنْ يُكتَبَ بالواوِ، وأيضاً فإنَّ (شركاءَكم) الأصنامُ والأصنامُ لا تصنعُ شيئاً»(١٣٧).

د ـ تعدُّدُ القراءاتِ للفظِ الواحدِ :

وهذه ظاهرةٌ لافتةُ انتباهِ الباحثِ وهي ظاهرةٌ بيّنةٌ جليةٌ تتبعهُ أبوحيانَ فيها وأثبَتَ أنه قرأ اللفظَ الواحدَ قراءتين وثلاثَ قراءاتٍ وفي أحيان أخرى أكثرَ من ثلاثِ قراءات.

فمن القراءتين أنه قرأَ (متاع) في قوله تعالى (إنما بغيُكم على أنفسِكم متاعَ الحياةِ الدنيا)(١٣٨) بالنصب على أنه مصدرٌ في موضعِ الحال . . . وبإضافةِ الحياةِ إليه، وقرأه (متاعاً) بالتنوين، ونصب (الحياةِ) قال أبوحيان : «. . . انتصب (متاع) في قراءةِ زيد بن علي . . . وابنِ أبي اسحاق . . . على أنه مصدرٌ في موضعِ الحال أي : متمتعين، أو باقياً على المصدرية، أي : يتمتعون به متاعَ، أو نصباً على الظرفِ نحو : مقدم الحاج، أي وقتَ متاعِ الدنيا . . . وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ (متاعاً الحياةَ الدنيا) بنصب (متاعَ) وتنوينه ونصب (الحياة)»(١٣٩).

---

(١٣٤) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص٢٩٢.

(١٣٥) سورة يونس آية ٧١.

(١٣٦) الاشارة هنا إلى قراءة ابن أبي اسحاق.

(١٣٧) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص٦٧.
وانظر هذه القراءة في :
أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء ـ (ت٢٠٧هـ) ـ معاني القرآن ـ ٣م ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠م، جـ١ ص٤٧٣.

(١٣٨) سورة يونس آية ٢٣.

(١٣٩) أبوحيان : البحر المحيط جـ٥ ص١٤٠.

وقرأ (عصاى) في قوله تعالى (قال هي عصاى)[١٤٠] بقلب الألف ياء، وإدغامِها في ياء المتكلم، وقرأها بإثباتِ الألفِ وسكونِ الياءِ قال أبوحيان : «وقرأ ابنُ أبي اسحاقَ . . . (عصيّ) بقلبِ الألفِ ياءً وإدغامِها في ياءِ المتكلم . . . وعن ابن أبي اسحاق . . . عصايْ بسكونِ الياء»[١٤١].

وقرأ (يرجعون) في قوله تعالى (وإلينا يُرجَعُون)[١٤٢] بالياءِ مبنياً للفاعل، وقرأها بالتاء، قال أبوحيان : «وقرأ السلمي وابن أبي اسحاق . . . بالياء من تحت مبنياً للفاعل، وحكى عنهم الداني بالتاء»[١٤٣].

وقرأ (البدن) في قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون والبُدْنُ جعلناها لكم)[١٤٤] بضم الدال، وبضم الباء والدال وتشديد النون قال أبوحيان : «وقرأ الجمهورُ (والبدْن) بإسكان الدال، وقرأ الحسن ابن أبي اسحاقَ . . . بضمها وهي الأصل . . . وقرأ ابن أبي اسحاقَ أيضاً بضم الباء والدال وتشديد النون»[١٤٥].

ومن ثلاثِ القراءاتِ أنه قرأ (يثنون) في قوله تعالى (ألا إنهم يَثْنُونَ صدورَهم)[١٤٦] بالثاءِ مضارع «أثنوني» وقرأها بالياء وقرأها «ينثنون» بتقديم النون على الثاء قال أبوحيان : «وابن أبي اسحاقَ «تثنوني» بالثاء مضارع أثنوني على وزن افعوعل . . . وقرأ ابنُ عباس وابنُ أبي اسحاقَ «يثنوني» بالياء «صدورُهم» بالرفع . . . وقرأ ابنُ يعمر وابنُ أبي اسحاقَ «ينثون» بتقديم النون على الثاء»[١٤٧].

ومما قرأهُ أكثرَ من ثلاث قراءات (نحاس) في قوله تعالى (يُرسَلُ عليكما شواظٌ من نارٍ ونحاسٌ فلا تنتصران)[١٤٨] فقد قرأها (نحاسٍ) بالجر، وقرأها (نَحَس) من يوم نحس، وقرأها (نَحِسٌ) مضارع حس وبالحركات الثلاث في الحاء، قال أبوحيان : «والجمهور و (نحاسٌ) بالرفع، وابنُ أبي اسحاقَ . . . بالجر . . . وابن أبي اسحاق أيضاً و (نَحِسٌ) مضارعاً وماضيه حسّه أي قتله أي ويحس بالعذاب، وعن ابن أبي اسحاقَ

(١٤٠) سورة طه آية ١٨.
(١٤١) أبوحيان : البحر المحيط جـ٦ ص٢٣٤.
(١٤٢) سورة مريم آية ٤٠.
(١٤٣) أبوحيان : البحر المحيط جـ٦ ص١٩١.
(١٤٤) سورة الحج آية ٣٥، ٣٦.
(١٤٥) أبوحيان : البحر المحيط جـ٥ ص١٤٠.
(١٤٦) سورة هود آية ٥.
(١٤٧) أبوحيان : البحر المحيط جـ٥ ص٢٠٢.
(١٤٨) سورة الرحمن آية ٣٥.

أيضاً و(نحِسٌّ) بالحركات الثلاثِ في الحاءِ على التخيير»[١٤٩].

هـ ـ إثباتُ ياءِ المفعولِ في رؤوسِ الآياتِ بعد نونِ الوقاية :

فقد كان يثبت ياء المفعول في رؤوس الآيات بعد نون الوقاية والمألوف عند القراء حذفها في هذا الموضع وكسر نون الوقاية.

فقرأ (فارهبونِي) في قوله تعالى (وإيايَ فارهبونِ)[١٥٠] وقرأ (فاتقونِي) في قوله تعالى (وإيايَ فاتقونِ)[١٥١] بإثبات الياء فيهما، قال ابن النحاس : وإيايَ فارهبونِ) وقع الفعلُ على النونِ والياءِ وحذفت الياءُ لأنه رأسُ آية، وقرأ ابن أبي اسحاقَ (فارهبونِي) بالياء وكذا (فاتقونِي)[١٥٢].

وقرأ (يهدينِي) في قوله تعالى (الذي خلقني فهو يهدينِ)[١٥٣] وقرأ (يسقينِي) في قوله تعالى (والذي هو يُطعمني ويسقين)[١٥٤]بإثبات الياءِ فيهما، قال ابنُ النحاس عن قراءة اللفظين المذكورين : «بغير ياءٍ لأَنَ الحذفَ في رؤوسِ الآياتِ حسُنَ لتتفقَ كلُها، وقد قرأ ابنُ أبي اسحاقَ على جَلالتِه ومحلِّه من العربيةِ هذه كلَّها بالياءِ لأن الياءَ إسمٌ وإنما دخلت النونُ لعلةٍ»[١٥٥].

و ـ بناءُ مضارعِ «رجع» إلى المعلوم :ـ

فقد كان يميلُ إلى بناءِ مضارعِ الفعلِ «رجع» إلى المعلومِ ، فقد قرأَ (يرجعون) في قوله تعالى (ويومٍ يُرجَعُونَ إليه)[١٥٦] مبنياً للمعلومُ قال أبوحيان : «وقرأ الجمهورُ (يُرجَعُون) مبنياً للمفعول وقرأ ابنُ يعمر وابن أبي اسحاقَ وأبوعمرو مبنياً للفاعِلِ»[١٥٧].

---

(١٤٩) أبوحيان : البحر المحيط جـ٨ ص١٩٥.
(١٥٠) سورة البقرة آية ٤٠.
(١٥١) سورة البقرة آية ٤١، سورة المؤمنون آية ٥٢، سورة الزمر آية ١٦.
(١٥٢) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص١٦٧.
(١٥٣) سورة الشعراء آية ٧٨.
(١٥٤) سورة الشعراء آية ٧٩.
(١٥٥) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص٤٩٢.
(١٥٦) سورة النور آية ٦٤.
(١٥٧) أبوحيان : البحر المحيط جـ٤ ص٤٧٧.

وقرأ كذلك (يُرجَعونَ) في قوله تعالى (والينا يُرجَعُون)[١٥٨] قال أبوحيان : وقرأ الجمهور (يُرجَعُون) بالياء من تحت مبنياً للمفعول . . . وقرأ السلمي وابنُ أبي اسحاقَ وعيسى بالياءِ من تحت مبنياً للفاعل»[١٥٩].

وقرأ (تُرجَع) في قوله تعالى (وإلى الله تُرجَعُ الأمور)[١٦٠]، قال أبوحيان : «وقرأ الجمهور (تُرجَعُ) مبنياً للمفعول والحسنُ وابنُ أبي اسحاقَ . . . مبنياً للفاعل»[١٦١].

وقرأ (تَرجَعون) في قوله تعالى (ثم يُميتكم ثم يُحييكم ثم إليه تَرجِعون)[١٦٢] قال أبوحيان : «وقرأ مجاهد . . . وابنُ أبي اسحاق . . . مبنياً للفاعل حيث وقع في القرآن من رَجَع اللازمِ لأنَّ رَجَعَ يكونُ لازِماً ومتعدياً»[١٦٣].

ز ـ الفَزَعُ إلى النصبِ :ـ

فقد كان يفزَعُ إلى نصبِ اللفظِ ويختارهُ على الرفعِ أو الجرِ ما دام التوجيهُ يقبلُهُ.

فقد قرأ ونصب (سلاماً) في قوله تعالى (سلامٌ قولاً)[١٦٤] قال الأخفشُ الأوسطُ : «وقرأهُ ابن مسعود (سلاماً) وعيسى وابن أبي اسحاقَ كذلك نصبوها على خبر المعرفة قوله (ولهم ما يدَّعون)[١٦٥]»[١٦٦].

ونصب (يضاعفَه) في قوله تعالى (فيضاعفه له)[١٦٧] قال ابن النحاس «وقرأ ابن أبي اسحاقَ والأعرجُ (فيضاعفَهُ له) نصباً . . . والنصب على جواب الاستفهام»[١٦٨].

---

(١٥٨) سورة مريم آية ٤٠.
(١٥٩) أبوحيان : البحر المحيط جـ٦ ص١٩١.
(١٦٠) سورة الحديد آية ٥.
(١٦١) أبوحيان : البحر المحيط جـ٨ ص١٩٥.
(١٦٢) سورة البقرة آية ٢٨.
(١٦٣) أبوحيان : البحر المحيط جـ١ ص١٣٢.
(١٦٤) سورة يس آية ٥٨.
(١٦٥) سورة يس آية ٥٧.
(١٦٦) أبوالحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) ـ معاني القرآن ـ ٢جـ ـ تحقيق الدكتور فائز فارس ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨١م ـ جـ٢ ص٤٥٠.
(١٦٧) سورة البقرة آية ٢٤٥. قال تعالى (من ذا الذي يُقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له).
(١٦٨) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٢٧٦.

ونصب (يقولَ) في قوله تعالى (ويقولُ الذين آمنوا)[١٦٩] قال ابنُ النحاس : «وقرأ أبوعمرو وابنُ أبي اسحاق (ويقولَ الذين آمنوا) بالواو والنصب عطفاً على (أنّ يأتيَ)[١٧٠] عند أكثرِ النحويين»[١٧١].

ونصب (خوفَ) في قوله تعالى (فلا خوفٌ عليهم)[١٧٢] قال ابنُ النحاس : «وقرأ الحسنُ وعيسى وابنُ أبي اسحاقَ (فلا خوفَ عليهم) والاختيارُ عند النحويين الرفعُ والتنوينُ لأن الثاني معرفةٌ لا يكون فيه إلّا الرفعُ»[١٧٣].

ونصب[١٧٤] (يتوب) في قوله تعالى (ويتوب الله)[١٧٥]، ونصب[١٧٦] (نردّ) في قوله تعالى (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردُّ)[١٧٧]. ونصب[١٧٨](ثمود) في قوله تعالى (وأما ثمودَ فهديناهُم)[١٧٩].

ح - الميلُ إلى فتحِ همزة أنّ :-

فقد قرأ قوله تعالى (أنا دَمَّرناهم)[١٨٠] بفتح همزة «أن» وقد زعم الفراء أن فتحها من جهتين، إحداهما : أن تردها على «كيف» والجهةُ الأخرى : أن تكسر عليها «كانَ» كأنك قلت : كان عاقبةُ أمرهم تدميرَهم، وقد رأى ابنُ النحاس أن هذا التأويلَ فيه تعسُّفٌ، وقال : إنَّ في فتحِها خمسة أوجه منها : أن يكون التقديرُ : لأنا دمرناهم وتكونُ «أنَّ» في موضعِ نصب، ويجوزُ أن تكونَ في موضعِ رفعٍ بدلاً من عاقبة[١٨١].

---

(١٦٩) سورة المائدة آية ٥٣.
(١٧٠) سورة المائدة آية ٥٣. قال تعالى (فعسى الله أن يأتيَ بالفتح ... ويقولُ الذين آمنوا).
(١٧١) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص٥٠٣.
(١٧٢) سورة الأنعام آية ٤٨.
(١٧٣) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ١ ص١٦٥.
(١٧٤) ابن جني : المحتسب جـ١ ص٢٨٤.
(١٧٥) سورة الأحزاب آية ٧٣.
(١٧٦) انظر : ابن جني - المحتسب جـ١ ص٢٥١.
(١٧٧) سورة الأعراف آية ٥٣.
(١٧٨) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٣ ص١٢.
(١٧٩) سورة فصلت آية ١٧.
(١٨٠) سورة النمل آية ٥١. قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبةُ مكرِهم أنا دمّرناهم).
(١٨١) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص٥٢٧.

وقرأ قولَهُ تعالى (أنّ الناس)(١٨٢) بفتحِ الهمزةِ، وقرأ أهلُ الحرمين وأهلُ الشامِ وأهلُ البصرةِ بكسر الهمزةِ، قال الأخفشُ : المعنى بأنَّ الناسَ. وقال أبوعبيد : موضعُها نصبٌ بوقوعِ الفعلِ عليها أي : تخبرهم أنَّ الناسَ. وقال الكسائي والفراءُ : بالكسر على الاستئنافِ، ورأى الأخفشُ أنَّ الكسرَ بمعنى : تقول إنَّ الناسَ(١٨٣).

وقرأ قوله تعالى (أن الله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ)(١٨٤) بفتح همزةِ (أنّ) عطفاً على اللفظِ ومن قرأ (إنّ الله) قدره بمعنى : قال ان الله(١٨٥).

وقرأ قولَه تعالى (وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعِوه)(١٨٦) بفتح همزةِ «أنّ» وخرجت قراءة فتح الهمزةِ على وجوه أحدُها : أن يكونَ تعليلاً حُذفَ منها اللامُ تقديره : ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، وقد قال الفارسي : قياسُ قولِ سيبويه في فتحِ الهمزةِ أن تكونَ الفاءُ زائدةً بمنزلتها في : زيدٌ فقام. وأما من قرأ بالكسرِ فعلى الاستئنافِ(١٨٧).

ط ـ الميلُ إلى تحريكِ عينِ الثلاثي :

فقد قرأ (وزُلفا)(١٨٨) بضم الزايِ واللامِ مع طلحةَ بن مصرف بينما قرأ ابنُ مجاهدٍ وابنُ محيصن (وزلْفا) بتسكين اللام، قال ابن جني : من قال (زُلفا) بضم الزاي واللامِ جميعاً فواحدتُه : زُلفة، ومن قرأ (زُلْفا) فواحدته زُلْفه إلاّ أنه جمعه جمع الأجناس المخلوقات كبّرة وبرّ ودرّة ودرّ والزّلفة : الطائفةُ من الليل(١٨٩).

وقرأ قوله تعالى (والبُدُن جعلناها لكم)(١٩٠)بضم الباء والدال، ورأى ابنُ النحاس أنّ «بُدُن» جمع الجمعِ أي بُدُنْ وبِدان وبُدُن(١٩١).

---

(١٨٢) سورة النمل آية ٨٢. قال تعالى (وإذا وقع القولُ عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلمهُم أنَّ الناسَ . . .).
(١٨٣) انظر : ابن النحاس ـ إعراب القرآن جـ٢ ص٥٣٥.
(١٨٤) سورة التوبة آية ٣.
(١٨٥) انظر : ابن النحاس ـ إعراب القرآن جـ٢ ص٤.
(١٨٦) سورة الأنعام آية ١٥٣.
(١٨٧) انظر : أبوحيان ـ البحر المحيط جـ٤ ص٢٥٣.
(١٨٨) سورة هود آية ١١٤.
(١٨٩) انظر : ابن جني ـ المحتسب جـ١ ص٣٣٠.
(١٩٠) سورة الحج آية ٣٦.
(١٩١) انظر : ابن النحاس ـ إعراب القرآن جـ٢ ص٤٠٣.

أثر قراءتِه في الدرسِ اللغوي :-

لقد كان لقراءةِ ابن أبي اسحاقَ أثرٌ واضحٌ في الدرسِ اللغوي وبخاصةٍ عند النحاةِ فكانوا يشيرون إليها ويناقشونَها ويتخذون منها موقفاً سلباً كان أم إيجاباً الأمرُ الذي أغنى الدرسَ النحويَّ وأثار النحاةَ لبحث الكثير من القضايا اللغويةِ والنحويةِ ولكن ردودَهم كانت تختلف من قراءة إلى قراءة وكان حكَمهم متفاوتاً ومختلفاً، فهناك من جوّد بعض قراءاته واستحسنها وهناك من النحاةِ من وقف عند بعضِ قراءاتِه موقفَ المتحفِظِ وأصدرَ أحكاماً سلبية، وهناك بعضٌ من قراءاتِه حيَّر النحاةَ فجعلهم يردُّون ردوداً مختلفةً تصلُ أحياناً إلى درجةِ التناقضِ وذلك لاختلافِهم في الفهمِ والتأويلِ.

أ - تجويدُ بعض قراءاته واستحسانها :-

فقد جوّدَ سيبويهِ قراءةَ ابنِ أبي اسحاقَ قولَه تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) برفع (نكفرُ)[١٩٢] على غيرِها من القراءاتِ لأن الفعلَ جاءَ بعد كلام مسبوقٍ بفاءِ الجزاءِ ولكن جرى وكأنَّهُ في غير الجزاء، قال سيبويه : «وتقولُ : إن تأتِيني فهو خيرٌ لك وأكرمُك، وان تأتِني فأنا آتيك وأحسِنُ إليك وقال عز وجل (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفرُ عنكم من سيئاتِكم)[١٩٣] والرفعُ هنا وجهُ الكلام وهو الجيد لأنَّ الكلامَ الذي بعد الفاءِ جرى مجراهُ في غير الجزاءِ فجرى الفعلُ هنا كما كان يجري في غير الجزاءِ»[١٩٤]. فسيبويهِ يرى - وفق قولِهِ هذا - أنك إذا عطفتَ فعلاً مضارعاً على جملةٍ إسميةٍ مقترنةٍ بالفاءِ الواقعةِ في جوابِ الشرط كان رفعُ هذا الفعلِ، أجودَ من نصبِهِ أو جزمِهِ.

وقد قوى ابنُ جني قراءةَ ابن أبي اسحاقَ قولهَ تعالى (يُراءُونَ الناسَ)[١٩٥] بغير ألفٍ وبتشديدِ الهمزةِ أي (يُرءّون) قال : «ومن ذلك قراءةُ عبدِالله بن أبي اسحاقَ . . . (يُرءّون الناسَ) مثل يُرعّون والهمزة بين الراء والواو من غير ألف. قال أبوالفتح : معناه : يُبصِّرون الناس ويحملونَهم على أن يروهم يفعلون ما يتعاطونه، وهي أقوى معنى من (يُراءون) بالمدِّ على يفاعلون لأن معنى (يراءونهم) يتعرضون لأن يروهم و (يرءّونهم)

(١٩٢) انظر : المصدر نفسه جـ١ ص٢٩١.
(١٩٣) سورة البقرة آية ٢٧١.
(١٩٤) سيبويه : الكتاب جـ٣ ص٩٠.
(١٩٥) سورة النساء آية ١٤٢.

يحملونهم على أن يروهم. قال أبوزيد : رأت المرأةُ الرجُلَ إذا أمسكتها له ليرى وجهه»(١٩٦)

وحسّن ابنُ جني قراءةَ ابنِ أبي اسحاقَ قولَه تعالى (في يومٍ عاصفٍ)(١٩٧) بالاضافة أي (يومِ عاصفٍ) قال : «ومن ذلك قراءةُ ابنِ أبي اسحاقَ . . . (في يومِ عاصفٍ) بالاضافةِ، قال أبوالفتح : هذا على حذفِ الموصوف وإقامةِ الصفة مقامه أي : في يومِ ريحٍ عاصفٍ، وحسُنَ حذفُ الموصوف هنا شيئاً لأنه قد ألف حذفه في قراءة الجماعة في (يومٍ عاصفٍ)»(١٩٨).

ب ـ الطعنُ على بعضِ قراءاتِه :ـ

لقد وقف النحاةُ عند بعضِ قراءاتهِ فطعنوا عليها ولكنهم استخدموا في هذا الطعنِ أحكاماً مختلفةً متفاوتةً حسب مقدارِ خروجِها على القياسِ أو لغةِ العرب فاستخدموا لفظ «رديء» «ضعيف» «ضعيف مرذول» «غلط» «قبيح» «شاذ» «بعيد» «تعسف في المعنى» «أضعف من غيرها».

فقد كان ابنُ أبي اسحاقَ يقرأ قوله تعالى (أأنذَرتهم)(١٩٩)، (٢٠٠) بتحقيق الهمزتين بعد أن يضع ألفاً بينهما، وكان سيبويه يرى أن أجودَ القراءات هنا ما حقّق الأولى وخفّف الثانية وأنّ تحقيق الهمزتين «رديء» فقال : «وزعموا أن ابنَ أبي اسحاقَ كان يحقّقُ الهمزتين وأناسٌ معه وقد تتكلم ببعضِه العربُ وهو رديء»(٢٠١).

وكان يقرأ قوله تعالى (قل هُو الله أحدُ الله الصمدُ)(٢٠٢) بحذف التنوينِ من (أحد) لالتقاء الساكنين(٢٠٣) أي (أحدُ الله) وكان يرى الفراءُ أن حذفَ التنوين ليس

(١٩٦) ابن جني : المحتسب جـ٢ ص٢٠٢.
(١٩٧) سورة إبراهيم آية ١٨.
(١٩٨) ابن جني : المحتسب جـ١ ص٣٦٠.
(١٩٩) سورة البقرة آية ٦.
(٢٠٠) انظر : ابن النحاس ـ إعراب القرآن جـ١ ص١٣٤.
وانظر : موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي ـ (ت٦٤٣هـ ـ ١٢٤٥م) شرح المفصل ـ ١٠م ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ مصر ـ جـ١٠ ص١٣٥.
(٢٠١) سيبويه ـ كتاب سيبويه جـ٤ ص٤٤٢.
(٢٠٢) سورة الصمد آية ١، ٢.
(٢٠٣) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٣ ص٧٨٨.

بالوجهِ المقبولِ فيقول : «والذي قرأ (أحدُ الله الصمدُ) بحذف النون من (أحد) يقول : «النون نونُ الاعرابِ إذا استقبلتها الألفُ واللامُ حُذفت، وكذلك إذا استقبلها ساكنٌ فربما حُذِفت وليس الوجهُ»[٢٠٤]. أما ابنُ النحاس فكان يرى أنّ حذفَ التنوين قبيحٌ ويقول : «والأجودُ تحريكُ التنوينِ لالتقاءِ الساكنين لأنه علامه فحذفهُ قبيحٌ وقراءة الجماعة أولى»[٢٠٥].

وكان يقرأ قوله تعالى (إنما كان قولَ المؤمنين)[٢٠٦] برفع (قول) على أنه إسمُ كان وعلى أنّ خبرَها المصدرُ المؤولُ في قوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا)[٢٠٧] فكان ابنُ جني يرى أن نصب (قول) ـ وهو ما عليه الجماعة ـ أقوى من الرفع على أنه خبر كان واسمها المصدر المؤول المذكور، وكان يعلل ذلك بقوله : «وذلك أن في شرطِ إسمِ كان وخبرها أن يكون اسمُها أعرفَ من خبرِها وقوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أعرفُ من (قول المؤمنين) وذلك لشَبَهِ «أن» وصلتها بالمضمر من حيث كان لا يجوز وصفُها كما لا يجوزُ وصفُ المضمر والمضمرُ أعرفُ من (قول المؤمنين) فلذلك اختارت الجماعةُ أن تكون «أن» وصلتُها إسمَ «كان» ومثله : (ما كان جوابَ قومِه الا أنْ قالوا)[٢٠٨] أي : الا قولُهم على ما مضى»[٢٠٩].

وكان يقرأ قوله تعالى (لا يُرى إلّا مساكنُهم)[٢١٠] بالتاء المضمومة في (يرى) ورفع (مساكنُهم) أي كان يقرأ (لا تُرى إلّا مساكنُهم) فكان ابنُ جني يضعف هذه القراءة ويقول : « . . . وابنُ أبي اسحاقَ (لا تُرى) بالتاء مضمومة (إلّا مساكنُهم) بالرفع . . . قال أبوالفتح : أما (تُرى) بالتاء ورفع (المساكن) فضعيف في العربية والشعرُ أولى بجوازه من القرآن، وذلك أنه من مواضعِ العموم في التذكير فكأنه في المعنى : لا يُرى شيءٌ إلّا مساكنُهم، وإذا كان المعنى هذا كان التذكير لإرادته هو الكلام»[٢١١]. حتى

(٢٠٤) الفراء : معاني القرآن جـ٣ ص٣٠٠.

(٢٠٥) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٣ ص٧٨٩.

(٢٠٦) + (٢٠٧) سورة النور آية ٥١ يقول تعالى (إنما كان قولُ المؤمنين إذا دعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا).

(٢٠٨) سورة الأعراف آية ٨٢.

(٢٠٩) ابن جني : المحتسب جـ٢ ص١١٥.

(٢١٠) سورة الأحقاف آية ٢٥.

(٢١١) ابن جني : المحتسب جـ٢ ص٢٦٥.

أبوحيان كان لا يجيزُ هذه القراءةَ بناء على رأي البصريين ويقول : «. . . وابن أبي اسحاقَ . . . بالتاء من فوق مضمومة (مساكنُهم) بالرفع وهذا لا يجيزه أصحابُنا إلاّ في الشعرِ وبعضهُم يجيزه في الكلام»[٢١٢].

وكان يقرأ قوله تعالى (أُشدد به أزري وأشركه في أمري)[٢١٣] بفتح همزة (اشدد) وضم همزة (أشركه) أي اشدد به أزري وأشركه في أمري) فكان ابن النحاس يرى أن هذه القراءةَ شاذةٌ بعيدةٌ عن قياسِ النحو فيقول بعد أن ينسب هذه القراءةَ إلى الحسن[٢١٤] وابنِ أبي اسحاقَ : «يجعلان الفعلين في موضع جزم جواباً لقوله (اجعل لي وزيراً من أهلي) وهذه القراءةُ شاذةٌ بعيدةٌ لأن جوابَ مثلِ هذا إنما ينجزمُ بمعنى الشرطِ والمجازاةِ فيكون المعنى : إن تجعل لي وزيراً من أهلي أشدَّ به أزري وأشركه في أمري وأمره النبوة والرسالة وليس هذا إليه ﷺ فيخبر به وإنما يسأل الله جل وعزّ أن يشركه معه في النبوة»[٢١٥].

وكان يقرأ قوله تعالى (ص)[٢١٦] بكسر الدال والتنوين أي (صادٍ) على أن يكون مخفوضاً على حذفِ حرفِ القسم، وكان ابن النحاس يرى أن قراءةَ الكسرِ والتنوينِ بعيدةٌ[٢١٧].

جـ ـ التناقض في الحكم على قراءته :ـ

لقد وقف النحاةُ والعلماءُ عند بعضِ قراءاتهِ فاختلفوا في توجيهها وتأويلِها وكان ذلك سبباً في إصدارِ أحكامٍ مختلفةٍ تصلُ أحياناً إلى درجةِ التناقضِ البيّن :

فكان يقرأ قوله تعالى (فانظر كيفَ كان عاقبةُ مكرِهِم أنا دمرناهم)[٢١٨] بفتح همزة (أنا) وكان الفراء يرى أن فتحها من جهتين إحداهما : أن تردها على «كيف» وكان ابنُ

---

(٢١٢) أبوحيان : البحر المحيط جـ٨ ص٦٥.
(٢١٣) سورة طه آية ٣١، ٣٢.
(٢١٤) هو الحسن البصري.
(٢١٥) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص٣٣٧.
(٢١٦) سورة ص آية ١.
(٢١٧) ابن النحاس : إعراب القرآن جـ٢ ص٧٧٩.
(٢١٨) سورة النمل آية ٥١.

النحاس يردُّ هذا الوجهَ لأن «كيف» عنده للاستفهام و«أنا» غير داخل في الاستفهام. وثانيهما : أن تكون «أن» في «أنا» واسمها وخبرها في محلّ نصب خبر «كان»، وكان ابنُ النحاس يردُّ هذا الوجهَ أيضاً ويقول : وهذا متعسَّفٌ، وكان يرى أنَّ في فتحِها خمسةَ أوجه، منها : أن يكون التقديرُ : لأنا دمّرناهم وتكون «أن» في موضع نصب، ومنها أنه يجوزُ أن تكونَ في موضع رفع بدلاً من «عاقبة»(٢١٩).

وكان يقرأ قوله تعالى (ما فعلوا إلاّ قليلٌ منهم)(٢٢٠) بالنصب أي (إلاّ قليلاً) وقد نص النحاةُ البصريون على أنَّ الاختيار في مثل هذا التركيب اتباعُ ما بعد «إلاّ» لما قبلها في الاعراب على البدل، وكان الزمخشريُّ يرى أنّ النصبَ هنا على أصل الاستثناءِ أو على تأويل : إلاّ فعلاً قليلا(٢٢١)، وكان أبوحيان، يرى أن تأويلَ الزمخشريّ هذا ضعيف لمخالفةِ مفهوم التأويلِ في قراءةِ الرفعِ، ولقوله (منهم) فإنه تعلقٌ على هذا التركيب لو قلت : ما ضربوا زيداً ضرباً قليلاً منهم، أن يكون منهم لا فائدة في ذكره(٢٢٢).

وكان يقرأ قوله تعالى (لا يحبُّ الله الجهرَ بالسوءِ من القول إلاّ من ظُلم)(٢٢٣) ببناء «ظلم» إلى المعلوم أي مبنياً للفاعل على أنه استثناءٌ منقطعٌ فقدره الزمخشري بأن الظالم يركبْ ما لم يحبُّه الله فيجهر بالسوء(٢٢٤)، وقيل : إنَّ المعنى إلاّ من ظَلَم في فعل أو قول فاجهروا له بالسوءِ من القول في معنى النهي عن فعله والتوبيخ والرد عليه، وقيل : لكن من ظَلَم فهو يجهر بالسوءِ وهو ظالم في ذلك، إذاً هناك ثلاثة تقارير في هذا الاستثناء المنقطِع، أحدُها راجعٌ إلى الجملةِ الأولى وهي (لا يحبُ) كأنه قيل : لكن الظالمَ يحب الجهر بالسوء فهو يفعله، والثاني راجع إلى فاعل الجهر أي : لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء لكنَّ الظالِمَ يجهرُ بالسوء. والثالثُ راجعٌ إلى متعلقِ الجهرِ الفضلةِ المحذوفةِ أي : أن يجهر أحدُكم لأحدٍ بالسوءِ لكن من ظَلَم فاجهروا له بالسوءِ(٢٢٥).

---

(٢١٩) انظر : ابن النحاس ـ إعراب القرآن جـ٢ ص٥٢٧.

(٢٢٠) سورة النساء آية ٦٦.

(٢٢١) انظر : أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري ـ (ت٥٣٨هـ) ـ الكشاف ـ ٣م ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ جـ١ ص٥٣٩.

(٢٢٢) أبوحيان : البحر المحيط جـ٣ ص٢٨٥.

(٢٢٣) سورة النساء آية ١٤٨.

(٢٢٤) انظر : الزمخشري ـ الكشاف جـ١ ص٥٧٦.

(٢٢٥) انظر : أبوحيان ـ البحر المحيط جـ٣ ص٢٩٣.
والفراء ـ معاني القرآن جـ١ ص٢٩٣.

يتبين في هذا البحثِ أنّ ابنَ أبي اسحاقَ كان قد اختارَ قراءتَه بتوجيهِ عواملَ مختلفة وأن قراءتَه اتسمت بملامحَ معينةٍ كانت تبدو جليةً واضحةً للدارسِ المتتبعِ المعنِ وأنّ قراءتَه كانت مركزَ اهتمامٍ عند علماءِ اللغةِ وبخاصةٍ علماءِ النحوِ فأثارتْ روحَ البحثِ والدرسِ فيهم فوقفوا عندَها وناقشوها سلباً أم إيجاباً فكان لذلك أثرٌ على الدراسات اللغوية.